

المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي
"تجديد الفكر الاسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي"
24 - 26 ايلول 1995
استانبول - تركيا

رسائل النور من زاوية المشكلات الكلامية

د. يوسف شوقي ياوز *

1- المدخل

يقول سعيد النورسي ان المذهب الذي يوافق القرآن والسنة هو مذهب اهل السنة والجماعة، وان المذاهب الاخرى "اهل البدعة" وقعوا في الافراط والتفريط. وبالنسبة له فإنه من الصعب جداً ان يكون هناك مذهب ما يتبنى جميع الآراء الباطلة. ويربط سعيد النورسي مقياس المذهب الحق بأن ترجح كفة الحق فيه على كفة الباطل، وسمى المذاهب التي تكثر فيها الآراء الباطلة بالمذاهب الباطلة. ويرى سعيد النورسي ان كفة الحق راحجة في الأسس الاعتقادية في مذاهب اهل السنة والجماعة لذلك يعده مذهب حق. بينما يجد كفة الباطل ارجح في آراء المذاهب الاخرى الى جانب وجود بعض الآراء الحقّة. 1

لذلك يجب القول انه عالم يتبع المذهب السني. وقد خالف رأى علماء السنة احياناً، فمثلاً نجده يؤيد المعنى الذي اعطاه علماء الشيعة للآية الكريمة .. قل لا أسئلكم عليه اجراً الا المودة في القربى..2 لكن لا يعني ان اختلافه في الرأى مع علماء السنة في هذا الموضوع وامثاله انه يخالف خط اهل السنة. وذلك لان هناك علماء ومن اهل السنة يفسرون الآية على نفس الشكل. إن رسائل النور المجموعة في كليات رسائل النور هي عبارة عن آثار عدّها مؤلفها انها تتحدث عن حقيقة الايمان، والمعجزة المعنوية للقرآن. وذلك لان كل رسالة عند سعيد النورسي حصلت من السنوحات والالهامات المتولدة في قلبه من فيض القرآن، وقد اشير الى تأليفها في القرآن وفي كلمات كبار الاولياء3. لذلك فإن المؤلف قال مراراً إن الرسائل لا تنبعث عن حقيقة نفسه بل عن الحقائق القرآنية.4 والى جانب ذلك فقد بين ان الاسلوب المتبع في هذه الرسائل هو اسلوب "التفكر" 5 لذلك يمكن القول ان هذه الرسائل حصلت بالمعرفة التي هي من محصول العقل

البشري. وذلك لانه تم القبول بدون نزاع على ان التفكير يأتي على رأس خواص التفكير البشري. ورغم ان رسائل النور تحتوي على جميع مواضيع علم الكلام، الا ان سعيداً النورسي بين انه بعد كتابة هذه الرسائل لن تكون هناك حاجة لمصادر هذا العلم. 6 وذلك لأنه حسب قوله، ان كونها مليئة بالمعرفة البشرية فإن مصادر علم الكلام اتبعت اسلوباً يصعب فهمه. لذلك فإن هذه المصادر لا توصل الى المستوى الايماني الذي يريح الانسان في موضوع وجود الله ووحدته وصفاته. وقد استخدمت رسائل النور اسلوباً ينفذ الي الروح والقلب ويهدف الى اصال الحقائق الايمانية للانسان، ونجحت في فتح نافذة معرفة الله في كل موجود وحادثة 7. وذلك لان الرسائل طبقت الاسلوب القرآني السهل في ايضاح واثبات المواضيع الاعتقادية، واتبعت الاسلوب الذي يوحد العقل والروح، واختارت منهجاً تصويرياً ينتقل من العقل الى القلب ، ومن القلب الى العقل. 8 ويتضح من آراء بديع الزمان هذه انه يشارك احمد ابن حنبل، وابن تيمية، وابن قيم الجوزية وغيرهم من علماء السلف، وابن رشد وغيره من المفكرين، وجلا الدين الرومي وامثاله من الصوفيين في انتقاداتهم التي وجهوها لعلماء الكلام.

2- الآراء الكلامية لسعيد النورسي

يمكن ان تجمع المواضيع المتعلقة بعلم الكلام الموجودة في رسائل النور في النقاط التالية: فلسفة الطبيعة ، والالوهية، وافعال البشر والقدر، والنبوة، والآخرة، وعلامات الساعة، والإيمان، الآثام، التكفير، والسياسة.

أ- قضية المعرفة

1- إمكانية المعرفة

لقد وافق سعيد النورسي آراء علماء الكلام بأن الانسان يستقي المعلومات بواسطة الحواس والعقل والخبر، لذلك فقد قبل انه من الممكن استقاء المعلومات حول الموجودات والاحداث. لذلك فإنه يختلف عن الصوفيين في قضية إمكانية المعرفة. وبالنسبة له إن جميع الموجودات والاحداث هي تجلى لاسم الله الحق. ومهما كان الوجود الحقيقي للموجودات ممكناً بالنسبة لوجود الله، فإنه من الواضح انها ليست وهماً ولا خيالاً⁹. ويتضح من رأى سعيد النورسي هذا انه يقبل القناعة القائلة بان العالم الذي عبر عنه علماء الكلام "حقيقة الاشياء ثابتة" له وجود حقيقي، وانه يؤسس الارضية لإمكانية المعرفة¹⁰.

2- مصادر المعرفة

يجمع سعيد النورسي مصادر المعرفة في النقاط التالية: الحواس، والخبر، والعقل، والكشف والالهام، والوحي، والرؤيا، والتفائل، والجفر.

أ- الحواس: بالنسبة له إن الاعضاء التي هي تجلي الرحمة الالهية هي مصادر المعرفة التي تفهم الانسان بها اسرار "الاسماء الحسنى" وتوصله في النتيجة الى المعرفة الله 11.

ب الخبر: يدرس سعيد النورسي الخبر في قسمين؛ الخبر المتواتر، ويبين انه معرفة قطعية صريحاً كان او معنوياً بشرط ان يرى المجتمع الذي ينقل الخبر قول الكذب فعلاً لا اخلاقياً محضاً وان يطبق ذلك في حياته والخاصية المهمة في التواتر المعنوي ليست كيفية حصول الحادثة وإنما هي حصول الحادثة 12. أما اخبار الآحاد المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم وذكرت في "الكتب الستة" فتكون مصدر معرفة في اطار بعض الشروط. ورغم كون اخبار الآحاد تفيد المعرفة الظنية فهي لا تستخدم كأدلة قطعية في مسائل العقائد. وذلك لانه يشترط المعرفة اليقينية فيها 13. ويمكن ان نقول إذا وضعنا آراء سعيد النورسي هذا موضع الاعتبار فانه يوافق قناعة علماء الكلام في قضية كون الخبر مصدر المعرفة.

ج- العقل: اما بالنسبة لجعل العقل مصدر المعرفة فإن سعيد النورسي يرى ان اجراء النشاطات العقلية هو اهم نشاط يخلص الانسان من الوقوع في الانحراف. ويرى سعيد النورسي ان تحول الفكر الطارئ على الذهن الى معرفة مرتبط بصفحات هي: التخيل والتصور، والتصديق، والالتزام، والاعتقاد. كما يرى انه إذا تعارض النقل مع العقل يجب تاويل النقل في ضوء العقل ان كان العقل عقلاً حقاً لكنه الى جانب ذلك لا يرى ان العقل مصدراً مطلقاً للمعرفة او كاملاً 14. واننا نشاهد انه بهذا الرأي يوافق علماء الكلام الجدد أمثال الماليلي محمد حمدي واسماعيل حقي إزميرلي 15.

د- الكشف والالهام: إن الالهام بالنسبة لبديع الزمان هو نتيجة ضرورية "فالاسماء الحسنى" الودود، الرحمن، والرحيم، وهي معرفة من نوع السنوحات يضعها الله في قلب المؤمن مباشرة. والى جانب البشر فإن الحيوانات والنباتات تتوصل الى المعرفة التي تحتاجها بواسطة الالهامات. إن الالهامات التي تأخذها الموجودات هي بنفس الوقت تشكل دليلاً واضحاً لوجود الله ووحدانيته 16.

هـ - الرؤيا: لقد قبل سعيد النورسي الرأي القائل ان الرؤيا تعلم الانسان بعض الحقائق حتى ولو بشكل غامض، ويرى ان الرؤيا الصادقة بمثابة النافذة الى عالم الغيب. والى جانب ذلك

فهو يبين ان جميع الرؤيا لا تحمل وصف الرؤيا الصادقة بل ان بعضها يعكس ميول البشر وتخييلاتهم 17. وإن رأى سعيد النورسي هذا يتفق مع المعلومات الموجودة في القرآن والسنة حول الرؤيا. وذلك لان القرآن الكريم والسنة تذكر اهمية وانواع الرؤيا.

و- التفاؤل: لقد قبل سعيد النورسي التفاؤل من مصادر المعرفة، لكنه يبين انه يجب القيام بالتفاؤل في كتب ودواوين الشعر المختلفة اكثر من القرآن 18.

ز- الجفر : لقد قبل سعيد النورسي الجفر من مصادر المعرفة ايضا. وبالنسبة له ان مصدر الجفر الذي يستند الى الحساب الابددي هو الرسالة الجلوتية التي كتبها الامام علي رضى الله عنه باللغة العربية والسريانية. وقد رأى بديع الزمان الجفر من مفاتيح الغيب، وعدّه من الخواص الاعجازية للقرآن. وبالنسبة له ان الآيات القرآنية تحمل معاني اخرى فضلاً عن المعنى الصريح لها، ويمكن معرفة ذلك بواسطة علم الجفر. 19

وقد بين سعيد النورسي في رسائله انه توصل الى بعض المعلومات الغيبية بواسطة الجفر. وعلم الجفر الذي قبله سعيد النورسي على انه مصدر معرفة يستطيع الانسان بواسطته كشف الاسرار الغيبية، ليس له اسس إسلامية، ويعرف بأنه يستند الى روايات شيعية، وانه انتقل الى الثقافة الاسلامية بهذا الطريق 20.

ب- فلسفة الطبيعة

إن سعيداً النورسي مثله كمثل معظم علماء السنة قبل بأن الاحداث الطبيعية تجرى بتأثير القدرة الالهية. ومهما كانت الاحداث المعينة تجري بشكل مرتبط بوجود اسباب معينة، الا ان هذه الاسباب لا تملك قوة التأثير بذاتها، بل العكس فإن جميع التأثير هو أثر القدرة الالهية. وان مشاهدة الناس الاسباب بأنها المؤثر الحقيقي بأحداث الطبيعة يتعلق بالعادة، وإن انتاج الاسباب المعينة نتائج معينة دوماً فتح الطريق لجعل الناس يرون الاسباب بانها صاحبة القوة والصلاحية في اظهار النتائج 31. وبهذا يكون سعيد النورسي قد وافق رأى الاشعرية الذي يرى ان الاسباب ليست مؤثرة بالمعنى الحقيقي والذي انتقده المعتزلة والسلفية والفلاسفة المسلمون، وقد اتبع بشكل خاص طريق الباقلاني والغزالي وقبل نظرية "العادة" 22.

ج - الألوهية

1- وجود الله

لم ير سعيد النورسي ادلة اثبات الواجب التي طورها الفلاسفة وعلماء الكلام المسلمين واضحة بحيث يفهمها ويستفيد منها جميع الناس. ويمكن تلخيص وجمع الادلة التي ذكرها سعيد النورسي حول وجود الله في اربع نقاط:

أ- دليل الفطرة: إن إيمان الناس بوجود إله على مر التاريخ، وبحثهم عن وجود عظيم يلجأون إليه دوماً، واحتياجهم للإيمان بالله شعور يظهر منذ الولادة، يدل على وجود خالق خلق فيهم هذا الشعور. وبسبب هذا الشعور يستطيع الناس مقاومة المصائب²³. ويتضح من ذلك ان سعيد النورسي كرر الدليل الذي أقره علماء الكلام منذ القرن الرابع الهجري، كما اقره المفكرون الغربيون، ولم يأت بأى طراز جديد لتناوله²⁴.

ب- دليل الحدوث: إن كون جميع الموجودات في الكون متغيرة يدل على انها ليست أزلية وانما حديثة. وذلك لأن كل موجود إما ان يكون في حالة حركة او سكون. والحركة والسكون هما اعراض حادثه، ويجب ان يكون لكل حادث خالق وهو الله²⁵. ورغم ان سعيد النورسي انتقد علم الكلام وبين انه لم تعد هناك حاجة لمصادر هذا العلم الا انه لم يُفَلت نفسه من الاقرار بدليل الحدوث الذي عرضه علماء الكلام.

ج - دليل الامكان: إن وجود الموجودات المترددة ضمن امكانات لا متناهية بذاته وصفاته يدل على انها ممكنة. إذ الميت يوجب وجود المميت، والفن يوجب الفنان، والابن يوجب الأب ومثل ذلك، فإن وجود الكائنات يدل على وجوب وجود صانع لها²⁶.

وقد سمي سعيد النورسي الدليل الذي اقره على شكل دليل الحدوث والنظام دليل الإمكان، وكونه يستند الى الغاء الدور والتسلسل فقد رفض دليل إمكان علماء الكلام وسعى لعرض ايضاح مختلف. لكن عندما يقال دليل الامكان يتضح منه الدليل المقرر من فكرة "في حالة عدم الوجود، عدم ظهور المحال العقلي"، ويتضح ان بديع الزمان له نظرة مختلفة حول دليل الامكان.

د- دليل النظام: إن النظام الموجود في جميع الكائنات وفي كل قطعة منها، يدل على الوجود الذي ينظم هذا النظام، وكل حكمة وجمال يشاهد في ان موجود يدل بوضوح على وجود خالق لها. ويجب ان يكون هذا الوجود صاحب صفات سامية وعلم لا محدود ، وقدرة لا متناهية كي نستطيع ايضاح هذا الانتظام والحكمة الرائعة التي تحكم الكائنات بشكل معقول. إن إنكار الخالق صاحب الصفات السامية، يعنى إنكار النظام الموجود في الكائنات، وانكار الفن الرائع الذي يبهر الانسان، وإنكار غاية الموجودات وحكمتها، وهذا ليس ممكناً. وقد اقر سعيد النورسي دليل

الغاية والنظام مثل إقرار ابن رشد والمفكرين المسلمين الآخرين، وسعى للإيضاح بأن دوران الشمس والقمر والنجوم في مسار معين، وارتباط بعضها ببعض بقوة الجذب، وكون الأرض ملائمة من جميع النواحي لحياة الإنسان إلى جانب النبات والحيوان يشكل دليلاً واضحاً لوجود الله 27. وقد وقف سعيد النورسي عند هذا الدليل كثيراً في موضوع وجود الله، وبيّن باصرار انه يجب التوجه الى هذا الدليل الذي اولاه القرآن الكريم اهمية، ويشاهد ايضاً ان المفكرين المسلمين المعاصرين قد توجهوا الى هذا الدليل ايضاً 28.

2- وحدانية الله: بالنسبة لسعيد النورسي إن انتساب كل موجود لنوع ما هو اهم دليل على وحدانية الله. وذلك لأن كل موجود له علاقة بالوحدانية من زاوية وحدة النوع. يعني هناك تظاهر للوحدة في كل نوع. وإذا وضعنا مبدأ "الواحد لا يصدر إلا من واحد" تظهر وحدانية الخالق. كما ان تشابه الموجودات في مختلف الجهات وعلى رأسها الخلق يشير الى ان خالقها واحد 29. وقد قام سعيد النورسي بتغيير مبدأ "الواحد لا يصدر إلا من واحد" 30. والتي طرحها الفلاسفة لاثبات نظرية "العقول العشرة" على شكل "كل وحدة توجد في موجود تأتي من موجود واحد" واستخدمها من اجل إثبات وحدانية الله.

وقد أقر سعيد النورسي الدليل الذي ذكر في القرآن حول اسس موضوع وحدانية الله والذي سماه علماء الكلام فيما بعد دليل "التمانع". وحسب هذا الدليل إن النظام الموجود في الكائنات يخضع لإرادة واحدة. وإذا كانت هناك اكثر من ارادة فلا بد من حدوث صراع وأزمة كبيرة في الكائنات 31.

3- الصفات الإلهية: إن آراء سعيد النورسي حول الصفات الإلهية هي باختصار: الله بذاته موجود واجب الوجود. لذلك فهو لا يشبه احداً من الموجودات بذاته وصفاته وأفعاله. وذلك لأنه لا يوجد موجود آخر واجب الوجود غير ذاته، بل العكس فان جميعها موجودات ممكنة. وكون الذات الإلهية غير جسمانية فهي لا تحتاج الى الزمان والمكان، بل العكس انها فوق الزمان والمكان. بينما الموجودات الجسمانية لا تستغنى عن الزمان والمكان.

لقد قبل سعيد النورسي آراء علماء الكلام في تصنيفه للصفات الإلهية وفصلها إلى اربع مجموعات: ذاتية، وثبوتية، وفعلية، وخبرية. وقد اضاف للصفات الذاتية صفات اخرى مثل القدم، والبقاء، والى مخالفة للحوادث صفات القدرة، والعلم، والارادة، والكلام وادخلها في هذه المجموعة، ويسمى علماء الكلام هذه الصفات بالصفات الثبوتية. لكن سعيد النورسي يبين ان

الصفات الثبوتية هي الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، وذكرها ضمن الصفات الثبوتية³². ويتضح من ذلك ان سعيداً النورسي قبل رأى العلماء الذي يرى الصفات السلبية والثبوتية صفات ذاتية.

وقد ربط سعيد النورسي الصفات الفعلية بصفة التكوين ويقول إن الله يخلق على شكلين:

1- الخلق من العدم، ويعبر عنه بالإبداع، والاختراع، والإيجاد. وخلق الله للكون بقوله "كن" يشكل مثلاً على ذلك.

2- خلقه لموجود من موجود آخر ويعبر عنه بالإينشاء، والإحياء. وإن استخدامه للموجودات التي خلقها من العدم وخلقها خلقاً جديداً منها يشكل مثلاً على النوع الثاني. وإلى جانب ذلك فإن سعيداً النورسي قبل رأى الذي قبله معظم أهل السنة وهو ان فعل الخلق يخصّ الله بشكل مباشر، ورفض رأى الذي يقول ان فعل الخلق يتحقق بشكل غير مباشر أيضاً³³.

أما بالنسبة للصفات الخيرية، فقد قيل سعيد النورسي انه من المحال نسبة الصفات الظاهرة التي اخبرت بها النصوص المتشابهة بمعناها الى الله، وقبل رأى علماء الكلام كاملاً في ذلك. وبالنسبة له إن شرح المعاني المجازية للناس انما يتم بواسطة المفاهيم التي تخاطب احساسهم، وهذا مرتبط بحكمة فهم هذه المعاني بشكل اسهل. وذلك لانه من الصعب على كل شخص ان يفهم المعاني المجردة. فمثلاً إن المقصود من الصورة في الحديث الشريف "إن الله خلق الانسان على صورته" هو السيرة، والاخلاق، والصفات. لأن الصورة محال في حق الله³⁴.

4- أفعال الانسان والقدر:

بالنسبة لسعيد النورسي إن بداية الافعال التي يقوم بها الانسان مرتبطة بالارادة الجزئية، ونهايتها بالارادة الكلية وان ارادة الانسان جزئية بمقدار الذرة . وبهذه الصفة فإن الانسان ناقص وعاجز ان يوجد فعلاً، بل القدرة والارادة الجزئية تجعل الانسان يكتسب الفعل فقط. وبهذا الاعتبار فإن الارادة والقدرة الالهية تؤدي دوراً حاكماً في افعال الانسان. وفي هذه الحالة تبقى ارادة الانسان لا شئ تجاه الارادة الالهية ولا تحمل اي معنى. وان قول الرسول صلى الله عليه وسلم في القَسَم "والذي نفسي بيده" يدل على ان كل شئ تحت تصرف الارادة والقدرة الالهية. وقد بين سعيد النورسي مثل فخرالدين الرازي ان الايمان بالله يوجب الايمان بالقدر، وقبل ان معرفة الارتباط بين الارادة الجزئية والقدر صعب جداً. كما بين ان عدم معرفة ماهية العلاقة بين الارادة الجزئية والقدر لا ينفي وجود هذه الارادة، وأشار الى انه يجب تأسيس مسؤولية الانسان. والنتيجة

"الى جانب امتلاك الانسان لإرادة جزئية ان الله هو الذي يخلق افعاله"، وبهذا يكون سعيد النورسي قد شارك رأى اهل السنة والجماعة³⁵.

د. النبوة

لقد سعى سعيد النورسي لتأسيس النبوة التي رآها مصدر جميع الفضائل والحسنات على اسس الالوهية. وبالنسبة له ان إلهاً عظيماً خلق الكائنات، لا يمكن التفكير بعدم القيام بالتعريف به لمخلوقاته. وهذا يوجب مؤسسة النبوة. وذلك لانه لا يمكن تعريف الناس بالله ونقل او امره إليهم إلا بالنبوة. لذلك فإن الإنسان المؤمن بالله يجب ان يؤمن بمؤسسة النبوة. وبناء على ذلك فقد رأى سعيد النورسي النبوة على انها تظاهر للالوهية، وقيمتها على انها مؤسسة واجبة للارتفاع والسمو عن دركة الحيوانية، ورأى انه من الواجب اثبات النبوة بالادلة العقلية لا بالادلة النقلية.

ويمكن اختصار دليل النبوة الذي عرضه على الشكل التالي: إن كون وجود عواطف دينية عند الانسان - الذي هو وجود اجتماعي - كالشهوة والنفس الى جانب ملكة العقل بمستويات مختلفة جعلته يحتاج الى العقل الكلي الذي يوضح له المعرفة الصحيحة المتعلقة بالقواعد التي تنظم الخواص المتعلقة بالايمان والعبادة والعلاقات الاجتماعية، وهذا هو الشريعة التي جاء بها النبي. والنبي الذي جاء بالشريعة يثبت نبوته بالمعجزة، وبتطبيقه الشريعة ليصير مثلاً للناس. ويبين سعيد النورسي انه لا يمكن انكار المعجزة لكونها فعل الهي تخاطب الحواس، واورد للمعجزة غايتين رئيسيتين:

الاولى: إظهار المعجزة للناس كي يصدقوا بالنبوة.

والثانية حث الناس على القيام بما يشبه المعجزة بوضع الامثلة لهم من اجل تحقيق التطور الاجتماعي. وبالنسبة له أن الحضارة التي توصلت اليها الانسانية اليوم تستند الى الالهام الذي اخذ اسسه عن المعجزات. والمعجزات المذكورة في القرآن عن النبي يوسف والنبي سليمان "عليهما السلام" الهمت الناس انه. يمكن التوصل الى الصوت والرائحة والصورة الموجودة على بُعد مسافات طويلة. 36

لقد بين سعيد النورسي انه مرت نبوات كثيرة في تاريخ البشرية وان المعجزات التي عرضوها تشكل دليلاً على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد قبل بأن وجود الصفات التي كانت في الانبياء السابقين عند الرسول صلى الله عليه وسلم دليل على صدق نبوته³⁷.

وهذه بعض الادلة الاخرى الواردة في رسائل النور حول نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم

:

قيام الرسول الذي كان يطلق عليه الناس صفة "الامين" بتبليغ دعوة الاسلام رغم المعارضة الشديدة له دون خوف واضعاً جميع النتائج بعين الاعتبار.. ذكر اوصافه في الكتب السماوية السابقة كالتوراة والانجيل والزبور، وذكرها بأنه سيرسل نبياً، كونه صاحب اخلاق سامية.. قيامه بالعبودية لله على اعلي درجة.. توضيحه للوجود والاحداث بشكل معقول يطمئن الجميع.. انعكاس دعوته بين الناس وانجذابهم اليها.. امتلاء شريعته بالحكم.. تحويل القوم البدو وعابدي الاوثان الى متحضرين اصحاب اخلاق سامية خلال فترة قصيرة من الزمن.. تشكيله جيلاً نموذجياً.. وغيره من الأدلة تدل على انه نبي حق 38.

وبعد أن يذكر سعيد النورسي هذه الأدلة المذكورة بشكل مفصل في كتب دلائل النبوة يبحث النبوة في كتب الكلام، يقول أن أهم دليل للنبوة هو إظهار المعجزة، ويقول أنه يمكن استخراج أكثر من الف معجزة من القرآن الكريم.

لقد قسم بديع الزمان معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم الى قسمين: الإرهاصات التي حدثت قبل النبوة، والمعجزات التي هي غير الإرهاصات. وفصل المعجزات الداخلة في القسم الثاني إلى مجموعات مختلفة فيما بينها. وبموجب ذلك نراه صنف المعجزات على الشكل التالي: ما حدث منها في حياته وبعد وفاته، ومنها ما يتعلق بذاته وما ظهر منها خارج عن ذاته، ومنها معجزات معنوية ومعجزات كونية 39 وبذلك يكون قد قبل التصنيف الموجود في كتب دلائل النبوة وكرره 40.

ويقول سعيد النورسي إن إظهار الاولياء كرامات أمرٌ حق وفعل الهي، والشخص الذي تظهر على يده الكرامة يمكن ان يعرف ان الكرامة ستظهر على يده. وان اظهار الكرامة دون ضرورة فيه ضرر. وذلك لان اظهار الكرامة مرتبط بحكمة ارشاد المريدين والعوام وتقوية ايمانهم 41. وبهذه الآراء يكون الاستاذ بديع الزمان قد قبل خط اهل السنة في موضوع الكرامة.

ه- الآخرة: يبين سعيد النورسي الأساس الذي يراه ضرورياً لايمان كل مسلم بموضوع الآخرة على الشكل التالي: "روح الانسان الميت تستمر في وجودها. والروح لها حقيقة خارجية وهي تجلي لاسم الله "الحي" وتنتقل بعد الموت الى عالم آخر. وإذا فسد جسد الانسان الميت وتفسخ في التراب تبقى قطعة صغيرة منه تسمى "عجب الذنب" 42، ويخلق الله اجساد الناس من هذه القطعة مرة اخرى ويعيد الروح اليها" 43.

وبالنسبة لسعيد النورسي ان وجود الكائنات يوجب وجود الله كما ان وجود الله يوجب وجود عالم الآخرة.44 وبعد ذكره للأدلة الموجودة في القرآن الكريم حول وجود الآخرة يتناول الادلة الاخرى المذكورة في كتب علم الكلام، ويبين ان عدم مكافأة المطيعين ومعاقبة العاصين وعدم تحقيق العدالة في الدنيا، ووجود غريزة العيش الى الابد عند الانسان، وكون قسم من أسماء الله تتعلق بعالم الآخرة، وقول جميع الاديان السماوية بحدوث اليوم الآخر، هي من الادلة التي توجب عالم الآخرة، ويبين ان العقل ايضاً يرى ان الآخرة ممكنة. ومقابل ذلك فهو على حق عندما يرى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة، لن يتخلصوا من الازمة المتولدة من احساسهم بالفناء الابدي، وان المؤمنين سيعيشون بعيدين عن الازمة سعيدين بالفرح المتولد من احساسهم بالعيش الابدي45.

ويقول بديع الزمان ان كون الصفات الالهية توجب الابدية للبشر فإن عالم الآخرة سيكون ابدياً، وأن الجنة وجهنم لن تنتهيا، وسيبقى المؤمنون في الجنة والكافرون في جهنم مؤبدين فيهما. وبقاء الكافرين في جهنم ابدًا يعدّ نعمة بالنسبة لهم. وذلك لانه ليس من المحال إفناءهم. والوجود في العذاب خير من الفناء. ورغم ان بديع الزمان سرد مختلف الادلة حول ابدية جهنم، إلا انه قبل الرأي الذي ظهر في القرن الثاني الهجري وقبله فيما بعد ابن العربي والذي يفيد ان الكافرين سيألفون عذاب جهنم وذلك مقابل العمل الصالح الذي عملوه في الدنيا، وبهذا ستخرج جهنم بالنسبة لهم من كونها دار عذاب46.

و- علامات القيامة

لقد قبل سعيد النورسي ان الدنيا ستفجر في الفضاء نتيجة اصطدام كوكب فيها مما يؤدي الى قيام الساعة، وآراء حول علامات الساعة هي:

ان الاخبار المتعلقة بعلامات الساعة مغلقة مثل الآيات المتشابهة وقابلة للتأويل. ولذلك قام بتأويل النصوص المتعلقة بعلامات الساعة. وسيظهر المهدي المنتسب الى آل البيت قبل قيام الساعة كي ينجي الايمان، ويطبق الشريعة ويتفق مع النصارى لاجل خدمة الدين. وقد جاء في كل عصر مهدي يخدم الايمان، اما المهدي الذي سيظهر في آخر الزمان سيقوم بتطبيق رسائل النور داخل منهاج وينشرها. والاحاديث المتعلقة بالمهدي والسفياي، سيظهر تياران إنكاريان في آخر الزمان، أحدهما سيسعى للقضاء على الاسلام ويتمثل في الشخصية المعنوية للسفياي التي هي النفاق، وسيقضي عليها المهدي، والتيار الإنكاري الثاني هو الذي يصدر عن الفلسفة المادية وسيغلب النصرانية التي هي عبارة عن الشخصية المعنوية لعيسى عليه السلام والتي ستتحول فيما

بعد الى الاسلام، وسيأتي على رأسها عيسى عليه السلام الموجود ببذنه في السماء. لذلك فإن قتل عيسى عليه السلام للدجال ليس بالمعنى المادي فحسب، بل يجب ان يفهم بمعنى هزيمة التيارات الانكارية وإبادتها⁴⁷.

أما ي أجوج ومأجوج فهم المنجوريون والمغول. وقد افسد هؤلاء الارض عدة مرات. وجاءت الاشتراكية نتيجة الاحتلال الفرنسي، وهذا التيار الذي خرب المقدسات تحول فيما بعد إلى البلشفية المحرومة من كل قيمة دينية واخلاقية، وقد ولد ذلك الفوضوية. وإن المكان الأصلي للفوضوية هو القبائل المتأخرة الهمج. وهؤلاء هم قبيلتنا المنجور والمغول اللتان كانتا سبباً في انشاء سور الصين⁴⁸.

ويتضح من ذلك ان سعيد النورسي قام بتأويل النصوص المتعلقة بعلامات الساعة وقبل المفهوم الذي بدأه سابقاً التفتازاني، وأسس رابطة بين المهدي ورسائل النور. كما ان الذي يلفت النظر في تأويلاته لقضية نزول عيس هو أنه يشبه التأويلات التي عرضها المالي محمد حمدي يازير⁴⁹.

ز- قضية الإيمان - الإثم - التكفير

1- تعريف الايمان وماهيته:

لقد قبل سعيد النورسي تعريف الايمان الذي قام به الماليلي محمد حمدي يازير وهو تصديق الضرورات الدينية التي بلغها الرسول صلى الله عليه وسلم بالوحي تفصيلاً والذي هو خارج عن الضرورة الدينية اجمالاً⁵⁰، ورأى انه يجب ان يكون الانسان صاحب الحرية والقوة للايمان كي يكلف بالايمان. وبالنسبة له ان احد الشروط الاخرى للتكليف بالايمان هو ان يخاطب الشخص بدعوة الرسول. والذين لم يسمعوا بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لن يكونوا مكلفين سوى بالايمان بالله وبوحدانيته، ولن يتعرضوا للعذاب في الآخرة⁵¹. وبما ان الاهتمام بالدين سيكون ضعيفاً جداً في آخر الزمان فإن المستضعفين من النصارى يعدون من اهل الفترة. ولكي يكون الايمان صحيحاً تكون إرادة الانسان لها اهمية الى جانب اهمية ارادة الله. وذلك لان الله يهدي لنوره من يشاء⁵².

ويرى سعيد النورسي ان الايمان يزيد وينقص باعتبار قوته. كما يرى انه يزداد وينقص بالارتباط مع كثرة الادلة وقطعيتها، وقلتها وضعفها. وقد قبل سعيد النورسي التصنيف التقليدي للايمان الذي قام به علماء المسلمين وهو على ثلاث درجات؛ علم اليقين، وعين اليقين وحق

اليقين 53، ويرى ان نجاته المؤمن تكون بالخضوع للأوامر الالهية.

يرى سعيد النورسي ان الاسلام هو التسليم، والايمان هو التصديق، لكن الاسلام بلا ايمان او الايمان بلا اسلام لا ينجي الإنسان في الآخرة 55.

وقد تحدث سعيد النورسي عن التأثير الايجابي للايمان وبين ان الايمان يسوق البشرية الى النور والاخوة، والانكار الى الظلم والعدوان. لهذا السبب قال إن الحضارة الغربية التي تسيطر عليها الفلسفة الإنكارية لم تستطع ان تؤاخي بين الناس. كما بين سعيد النورسي ان الموت بالنسبة للمؤمن هو بداية حياة جديدة، بينما هو للمنكر نهاية الحياة وباب للفناء، لذلك فإن المؤمنين متفائلون والكافرين متشائمون وفي حالة نفسية مضطربة 56.

2- الإثم "المعصية":

لقد وافق سعيد النورسي آراء اهل السنة والجماعة وعدّ القتل العمد، وشرب الخمر، والزنا وعقوق الوالدين وشهادة الزور وقبول البدعة من الكبائر، وبين ان الذي يرتكب الكبائر مؤمن. وذلك لان الذي يرتكب الكبائر لا ينكر الله. اذ غلبته نفسه لكسله وغفلته. لكن الذي يصير كسله عادة يمكن ان يقع في خطر الكفر 57.

3- التكفير:

لقد قبل سعيد النورسي رأى اهل السنة وبين ان أسس الايمان متكاملة، وان الذي ينكر احدها او بعضها يكون كافراً، ويتحدث سعيد النورسي عن نوعين من الكفار:

1- الكفار الذين ينكرون الله وجميع الاديان.

2- الكفار الذين ينكرون رسول الله صلى الله عليه وسلم والدين الاسلامي الذي بلغه .

والى جانب ذلك فإنه بالنسبة له ان الكافر الاصلي هو الذي ينكر الله وجميع الاديان. ويجب الاحتياط كثيراً في موضوع تكفير إنسان ما. ولا يمكن تكفير المسلمين الذي يلبسون الزي الذي يستخدمه غير المسلمين والذي كان علامة فارقة لغير المسلمين في مرحلة معينة. والقبة من هذا الزي في اللباس. لكن الذين يقبلون الاعتقادات الخاصة بالكفار يكونون كافرين بلا شك 58.

ح - السياسة "الامامة - الخلافة"

يقول سعيد النورسي إن النظام الجمهوري يتوافق مع الإسلام، واستدل على ذلك بمرحلة الخلفاء الراشدين. وبالنسبة له إن قيام مجلس الامة الكبير بإدارة الخلافة مشروع ويوافق الحقوق

الاسلامية. لكن عندما يقوم مجلس الامة بالتشريع عليه أن يراعي موافقة القوانين للشرع الاسلامي. والجمهورية العلمانية التي فصلت الدين عن الدولة ، إذا حققت الحرية للمتدينين بقدر تحقيقها للادنيين تكون غير لادينية، وإلا فإنه تكون لادينية بشكل واضح.59

النتيجة:

إن سعيداً النورسي العالم المرتبط بمذهب اهل السنة، كان يرى المصادر المتعلقة بعلم الكلام غير كافية، وان رسائل النور ستسد هذه الحاجة للمسلمين وذلك لأنه يقول إن الرسائل تشكلت من الإلهام الذي ولد بقلبه من فيض القرآن، لذلك فقد عرض الحقائق المتعلقة بالقرآن. لكن يجب أن لا ننسى أن هذه الرسائل من مصادر بشرية، وأن أهل السنة السنة والجماعة يقبلون أن الناس غير معصومين سوى الرسل، وأن هذا هو الفرق الاساسي بين أهل والشيعية. وإلى جانب ذلك نجده يستخدم الادلة والاصول الكلامية عند تناوله لمواضيع الاعتقاد. وقد قبل سعيد النورسي إمكانية المعرفة في قضية المعرفة، وأضاف لمصادر المعرفة الحواس والخبر والعقل وسائط أخرى مثل الكشف والإلهام والرؤيا والجفر وقد اختلف عن علماء الكلام في هذه القضية. وخاصة في موضوع قبوله لعلم الجفر- والذي يستند الى روايات شيعية الاصل - حيث وضعه ضمن مصادر المعرفة مختلفاً بذلك عن علماء السنة. وقد اتبع خط الاشعرية في موضوع فلسفة الطبيعة، ورفض مبدأ العلية وقبل نظرية "العادة" التي طرحها الباقلاني والغزالي. وكون العلماء المعاصرين قبلوا مبدأ العلية وانتقدوا نظرية العادة، يكون سعيد النورسي قد تعرض لنفس الانتقادات بهذا الموضوع بشكل غير مباشر.

وفي موضوع وجود الله فقد أقر ادلة الحدوث والامكان والنظام والفطرة والتي طرحها علماء الكلام والفلاسفة المسلمين منذ القرن الثالث الهجري، واعطى اهمية لدليل النظام، الذي اظهره العلماء المعاصرون في المقدمة. وفي موضوع وحدة الله عرض الى جانب دليل التمانع الدليل الذي يتناول موضوع كون كل موجود ينتسب لنوع ما. اما في موضوع الصفات فقد اتبع خط الماتريدي، واثبت صفات التكوين، اول الصفات الخبرية. وقد قبل ان الايمان بالقدر هو نتيجة ضرورية للايمان بالله مثلما قال فخرالدين الرازي، ومال الى الرأي الذي يقول ان الانسان زود بالارادة والقوة للقيام بالافعال، إلا ان جميع الافعال خلقها الله لذلك فإن القوة الحاكمة على الافعال هي قوة الله.

وفسر ان النبوة هي تظاهر الالوهية ، وان المعجزة هي اهم دليل لإثبات النبوة ورأى ان

مصدر الاختراعات والاكتشافات المعاصرة هو الالهام، وافر قسم من المعجزات المتعلقة بالرسول صلى الله عليه وسلم في كتاب "المعجزات الأحمديّة".

وبعد إيضاحه للدلالة الموجودة في القرآن والسنة حول موضوع الآخرة، قبل ان عاطفة العدالة والأبدية تشكل ادلة مهمة، وقال ان الايمان بالآخرة يسعد الإنسان، بينما انكارها يسوقه الى الازمة النفسية، والى جانب قبوله ببقاء الروح انتقد جلسات "إحضار الارواح" المنعقدة في الغرب. وقبل الرأى القائل بأبدية جهنم وصوب رأي ابن العربي حول "اعتقاد الكفار للعذاب مع الزمن". وقد اول ان الدجال ممثل الشر الذي هو من علامات الساعة بأنه يقود التيارات الإنكارية، ووافق التقليد الذي بدأ بالتفتازاني في هذا الموضوع. واول موضوع نزول عيسى عليه السلام تأويلاً يوافق التأويل المذكور في تفسير الماليلي حمدي يازير. كما ان التشابه بينهما في موضوع تعريف الايمان يجلب الانتباه.

وقد اتبع سلوكاً احتياطياً جداً في موضوع التكفير واتبع خط اهل السنة في هذا الموضوع، وعرض دليلاً قوياً حول عدم إمكانية تكفير الذين يلبسون القبعة.

وقد قبل مشروعية نظام الجمهورية بشرط موافقته للحقوق الاسلامية، وبين ان العلمانية إذا اعطت الحرية للدين فلن تعد لادينية.

ويتضح من ذلك ان سعيداً النورسي تناول جميع مواضيع علم الكلام في رسائله بالتفصيل وسعى لايجاد الادلة لها. والى جانب استفادته من آراء العلماء المسلمين السابقين، درس المواضيع الاعتقادية بطرانز يوافق اسلوب القرآن الكريم واتخذ مكانه بين العلماء المعاصرين.

* د. يوسف شوقي ياوز: ولد في مدينة جاي قرا التابعة لمحافظة طرابزون سنة 1953م. حفظ القرآن على يد والده حسن رامي ياوز افندي. اكمل دراسته الابتدائية في مدرسة جاي قرا. وانهى دراسته الثانوية في ثانوية الائمة والخطباء بطرابزون سنة 1972م، وفي سنة 1976م تخرج في المعهد الاسلامي العالي باستانبول. بعد ان عمل مدرساً في ثانوية الائمة والخطباء بمدينة رزة عين معيداً في فرع علم الكلام بالمعهد الاسلامي العالي بمدينة صامسون. وعين سنة 1982م مدرساً في فرع علم الكلام بكلية الالهيات بجامعة 19مايس. ثم عين مدرساً بكلية الالهيات بجامعة مرمرة سنة 1984م. وحصل على درجة الدكتوراه من معهد العلوم الاجتماعية بجامعة مرمرة سنة 1985م بعد تقديمه اطروحة بعنوان "منهاج التفكير والنقاش في القرآن الكريم" وحصل سنة 1989م وعلى درجة الاستاذ المساعد بتقديمه اطروحة بعنوان "ثلاث شخصيات في العقائد الاسلامية: أحمد بن حنبل، وابن فورك، والقاضي البيضاوى". ولا يزال يعمل استاذاً مساعداً في كلية الالهيات بجامعة مرمرة. ويشترك في

نشاطات هيئة علم الكلام للموسوعة الاسلامية التي يعدها وقف الديانة التركي. وقد نشر حوالي مائة مادة في هذه الموسوعة. متزوج وله اربعة اولاد.

1 المكتوبات، استانبول 1986م. ص 97 - 98، 318. الكلمات، استانبول 1987م، ص 359 - 361،
456 - 454

2 "سورة الشعراء، آية 23"

3 ملحق قسطنوني، استانبول 1960م، ص، ، 1950. الشعاعات، استانبول 1960م، ص 418، 567،
611-632سكة التصديق الغيبي استانبول 1988م، ص 91 - 110

4 المكتوبات، ص 344، 347-350. الشعاعات، ص 563-564، ملحق بارلا، استانبول 1987م،
ص 98-99 المناظرات، استانبول 1991م، ص 48-49

5 المكتوبات، ص 429-432 الكلمات، ص 445 - 418. المثنوي النوري، استانبول 1991م. ص
175-177

6 سكة التصديق الغيبي، ص 95

7 المثنوي النوري، ص 10-11

8 ملحق قسطنوني، ص 132. سكة التصديق الغيبي، ص 7، 95

9 المثنوي النوري ص 117-118. الكلمات، ص 447 - 448

10 النسفي؛ العقائد، استانبول 1320، ص 316

11 المثنوي النوري، ص 177-178. المكتوبات، ص 307-308

12 المكتوبات، ص 86-87

13 المكتوبات، ص 103-104 الشعاعات، ص 339. المحاكمات العقلية، استانبول 1977م، ص 52

14 المحاكمات العقلية، ص 10، ، 34. الكلمات، ص 658

15 من أجل آراء علماء الكلام في العصر الحاضر انظر يوسف شوقي ياوز "العقل" وقف الديانة التركي،

الموسوعة الاسلامية"، 2 ، 2-44-245، 1 1 ، 60

16 الشعاعات، ص 104-106؛ الكلمات، ص 121-122، 614؛ المكتوبات 179، 363

17 المكتوبات، ص 322 - 325

18 المكتوبات، ص 323؛ سكة التصديق الغيبي، ص 114، 126

19 الشعاعات، ص 224-230، 487، 599-600، 621-627، سكة التصديق الغيبي، ص 45-

- 54، ملحق قسطنطيني، ص 151-153؛ اللغات، استانبول 1986م، ص 28-36.
- 20 مئين بورداكور، "الجفر" الموسوعة الاسلامية، مج 7، ص 217
- 21 اللغات، ص 106-108؛ الكلمات، ص 185؛ المثنوي النوري، ص 62، 165؛ إشارة الاعجاز، استانبول، د. ت، ص 158 - 159، 282 - 283
- 22 من اجل وجهة نظر الاشعرية انظر يوسف شوقي ياوز "الاشعرية" الموسوعة الاسلامية "اصدار وقف الديانة التركي" مج 11، ص 449-450، 454
- 23 المثنوي النوري ص 59-60، 148-149، 214-215. اللغات ص 130، الكلمات، ص 653، إشارة الاعجاز، ص 85
- 24 بكر طوبال اوغلو، وجود الله، انقرة 1979م، ص 110
- 25 المحاكمات العقلية، ص 111-116. المثنوي، ص 213-214
- 26 الشعاعات، ص 119. المحاكمات العقلية، ص 110، إشارات الاعجاز، ص 173. عصا موسى، استانبول 1992م، ص 118
- 27 المثنوي النوري، ص 17-18، 49-50، 95-96. عصا موسى، ص 179-180، الكلمات، ص 563-565، 617-618، 636-637.
- 28 بكر طوبال اوغلو، نفس المصدر السابق، ص 143
- 29 المثنوي النورية، ص 124. الكلمات، ص 606-622. المحاكمات العقلية، ص 119. الشعاعات، ص 17-19. المكتوبات، ص 28-213
- 30 ابن رشد، تهافت التهافت، بيروت 1930، ص 237
- 31 الكلمات، ص 637-638. الشعاعات، ص 128، اللغات، ص 180-181
- 32 إشارات الاعجاز، ص 251. الشعاعات، ص 122. عصا موسى 5 ص 121
- 33 المحاكمات العقلية، ص 115-116. المكتوبات، ص 214 - 215. الكلمات، ص 179-181
- 34 إشارات الاعجاز، ص 291-292. اللغات، ص 92-97، الكلمات، ص 8-14
- 35 إشارات الاعجاز، ص 123-124. المثنوي النوري، ص 57-58، 81-82، اللغات، ص 219. الشعاعات، ص 6 عصا موسى، ص 52-53
- 36 إشارات الاعجاز، ص 310-312. المحاكمات العقلية، ص 122-127
- 37 إشارات الاعجاز، ص 190-193. الكلمات، ص 221-222، 235-249. المكتوبات، ص 177-178

- 38 المثنوي النوري، ص 23-26. الكلمات، ص 219-207، 539-542. اللمعات، ص 53، 319. الشعاعات، ص 527، المكتوبات، ص 180-185
- 39 المثنوي النوري، ص 22. المحاكمات العقلية، ص 147. المكتوبات، ص 84
- 40 انظر يوسف شوقي ياووز "دلائل النبوة"
- 41 المكتوبات، ص 47-49، 330-332. المثنوي النوري، ص 192
- 42 انظر يوسف شوقي ياووز "عجب الذنب"
- 43 الكلمات، ص 574-575. إشارات الاعجاز، ص 62
- 44 اللمعات، ص 337-338
- 45 إشارات الاعجاز، ص 58-63. الكلمات، ص 57-81، 128-130، 490-491. المثنوي النورية، ص 34-35، 42-43، 119-191، 203. عصا موسى، ص 27-36. الشعاعات، ص 514
- 46 المكتوبات، ص 71-73، 360. اللمعات، ص 151. الكلمات، ص 468-471. عصا موسى، ص 43-42، الشعاعات، ص 193
- 47 الشعاعات، ص 373، 374، 487-487. المكتوبات، ص 53-55، 411-413. ملحق قسطنطيني، ص 49-50، 57-58-75. سكة التصديق الغيبي، ص 9-10
- 48 اللمعات، ص 104-105. الكلمات، ص 319-320. الشعاعات، ص 494
- 49 الماليلي، لغة القرآن دين الحق، مج 2، 1112، 1113. مج 5، 3288. يوسف شوقي ياوز "الماليلي محمد حمدي" الموسوعة الاسلامية لوقف الديانة، مج 11، ص 61
- 50 الماليلي، نفس المصدر السابق، مج 1، 179-180. اشارات الاعجاز، ص 44
- 51 المكتوبات، ص 310-311، 360-361. ملحق قسطنطيني، ص 75-76
- 52 اشارات الاعجاز، ص 44-45 المثنوي النوري، ص 68-69
- 53 يوسف شوقي ياوز، "عين اليقين"، الموسوعة الاسلامية لوقف الديانة، مج 4، ص 269
- 55 المكتوبات، ص 31-32. ملحق بارلا، استانبول 1987م، ص 191
- 56 المثنوي النوري، ص 23-24. الكلمات، ص 15=16، 23-24. إشارات الاعجاز، ص 29-30 المكتوبات، ص 204-210. الشعاعات، ص 167-169
- 57 ملحق بارلا، ص 179. اللمعات، ص 70-73. المثنوي النوري 201
- 58 السنوحات، استانبول 1977، ص 20. إشارات الاعجاز، ص 74. الشعاعات، ص 324. اللمعات

ص 261 المناظرات، استانبول 1991م، ص 71 - 72